الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

القارئ:

فيقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول في كتابه: [**القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**]:

القاعدة الثانية عشرة:

الآياتُ القرآنية التي ظاهرها التضاد

يجبُ حملُ كلِّ نوعٍ منها على حال بحسب ما يليقُ ويناسبُ المقام، وهذا في مواضع مُتعدِّدةٍ من القرآن، منها: الإخبارُ في بعضِ الآياتِ أنَّ الكفَّار لا ينطقونَ، ولا يتكلمونَ يومَ القيامة، وفي بعضها: أنّهم يَنْطِقونَ ويُحاجُّون ويعتذرونَ ويعترفون، فحْمَلُ كلامِهم ونُطْقِهم أنّهم في أوّلِ الأمرِ يتكلّمونَ ويعتذرون، وقدْ يُنكِرون ما هُمْ عليهِ مِنَ الكفر، ويُقسِمُونَ على ذلك، ثمَّ إذا خُتمَ على ألسِنَتِهم، وشَهِدَتْ عليهم جوارحُهم بِما كانوا يكسِبون، ورأوا أنَّ الكذبَ غيرُ مفيدٍ لهم أُخْرِسوا فلمْ ينطقوا.

وكذلكَ الإخبارُ بأنَّ الله تعالى لا يُكلّمهم، ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامة معَ أنّهُ أثبتَ الكلامَ لهمْ معهُ، فالنفيُ واقعٌ على الكلامِ الذي يسرُّهمْ، ويجعلُ لهم نوعَ اعتبار، وكذلكَ النظرُ والإثباتُ واقعٌ على الكلامِ الواقعِ بينَ الله وبينهم على وجهَ التّوبيخِ لهم والتّقريع، فالنفيُ يدلُّ على أنَّ الله ساخطٌ عليهم، غيرُ راضٍ عنهم، والإثباتُ يوضّحُ أحوالهم، ويُبيِّن للعبادِ كمالَ عدلِ الله بهم، إذ وضعُ العقوبة مَوْضِعَها.

ونظيرُ ذلك أنَّ في بعضِ الآياتِ أخبرَ أنه: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:٣٩]، وفي بعضها أنه يسألهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٩٢]، و: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص، من الآية:٦٥]، ويسألهم عَنْ أعمالِهم كُلِّها.

فالسؤال المنفي: هو سؤالُ الاستعلام والاستفهام عن الأمورِ المجهولة، فإنّهُ لا حاجة إلى سؤالهم معَ كمالِ عِلمِ الله، واطِّلاعهِ على ظاهرهم وباطنهم وجليلِ أمورِهم ودقيقِها.

والسؤال المُثْبَت: واقعٌ على تقريرهم بأعمالهم، وتوبيخهم وإظهارِ أنَّ الله حَكَمَ فيهم بعدلِهِ وحِكْمتِهِ.

الشيخ:

هذه القاعدة الثانية عشرة في أن (**الآياتُ القرآنية التي ظاهرها التضاد: يجبُ حملُ كلُّ نوعٍ منها على حال بحسب ما يليقُ ويناسبُ المقام**)؛ هذه القاعدة هي مبنية على أصل متقرر ألا وهو أن كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تناقض فيه ولا تعارض، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٤٢]، فهو كتابٌ يشهد بعضه لبعض، ويعضد بعضه بعضًا، ويؤيد بعضه بعضًا كتابًا متشابهًا، هذا شأن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا ليس في القرآن آية تعارض الأخرى، أو آية تناقض الأخرى، أو آية تضاد الأخرى، بل هو كتابٌ متشابه، أي: ليس فيه تعارض، ولا تناقض، ولا اختلاف، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، من الآية:٨٢]، أما وهو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا اختلاف فيه، كتاب أحكم الحاكمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحكيم العليم جل وعز، فحاشى أن يكون فيه شيءٌ من التناقض، أو التعارض، أو التضاد، أو الاختلاف.

وهذه القاعدة يتكلم فيها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بناءً على هذا الأصل ألا وهو أن كتاب الله جَلَّ وَعَلَا لا اختلاف فيه ولا تعارض، ولا تناقض فيه ولا تضاد، لكن إذا ظهر للإنسان بحسب فهمه القاصر أن هذه الآية تُعارض الآية الأخرى، أو تناقضها، أو تضادها، أو أنه فيما يظهر له بين الآيتين تعارض، فما الجواب على ذلك؟ ما الجواب على ذلك؟ هذه قاعدة تأتي لوضع النقاط على الحروف كما يقال في هذه المسألة، الآيات التي ظاهرها التعارض، وقوله: "ظاهرها التعارض" أي: بالنسبة للعبد فيما يظهر له من الآية أو من الآيتين، أما في حقيقة الأمر فليس في كتاب الله تعارضٌ ولا تضاد، ولكن فيما يظهر للعبد نعم قد يظهر للعبد في آيةٍ وأخرى أن بينهما شيء من التعارض، فهذه القاعدة تأتي لبيان الجواب، أو تحقيق القول في الآيات التي ظاهرها التعارض.

يقول: (**الآياتُ القرآنية التي ظاهرها التضاد يجبُ حملُ كلُّ نوعٍ منها على حال بحسب ما يليقُ ويناسبُ المقام**)؛ مثلًا إذا جاء في آية إثبات شيءٍ، وجاء في آيةٍ أخرى نفيه، وسيأتي في الأمثلة عند المصنف شيء كثير من ذلك، يعني مثلًا آية تثبت الشفاعة، وآية تنفي الشفاعة، إذا مر بك آية تُثبت الشفاعة، وآيةٌ أخرى تنفي الشفاعة، ثم ظهر لك أن بين الآيتين تعارض، آيةٌ تثبت وآيةٌ تنفي، القاعدة هنا أن ما يظهر فيه التعارض من آي القرآن يُحمل كل منهما على حال، الآية المثبتة تُحمل على حال، والآية المنفية تُحمل على حال، فإذا كان هناك آيةٌ

تثبت وآيةٌ تنفي، نقول: إن المثبت غير المنفي، المثبت شيء، أو نوع، أو حال، والمنفي أيضًا شيء آخر، ونوعٌ آخر، وحالٌ أخرى، فليس المثبت هو عين المنفي، بل المنفي شيء والمثبت شيء آخر.

الآن لما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:١٧]، ألا يوجد في هذه الآية نفيٌ للرمي وإثبات له؟ قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، فالرمي المنفي ليس هو الرمي المثبت، الرمي المنفي في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾، هو التسديد والإصابة، والرمي المثبت في قوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، أخذ الحصى ورمية على الكفار، أو إلى جهتهم، فأثبت له رميًا ونفى عنه رميًا، ماذا نقول في هذين الأمرين: رميٌ مثبت، ورميٌ منفي؟

نقول: إن المثبت غير المنفي، الرمي المثبت للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أخذ التراب وإلقاءه إلى جهة الكفار، والرمي المنفي عنه التسديد والإصابة، وكون كل كافرٍ أصابه من ذلك التراب، هذا بيد الله عَزَّوَجَلَّ وتسديده وتوفيقه، قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾، نفى عنه ذلك؛ لأن التسديد والتوفيق والإصابة هذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما مباشرة الرمي هذا فعلٌ قام به نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيُنسب إليه، أما التسديد أمرٌ من الله فلا يُنسب إليه، وإنما يُنسب إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

إذًا القاعدة أن إذا أُثبت شيء ونُفي؛ فالقاعدة أن المثبت غير المنفي، وإذا ظهر لنا من آيتين شيءٌ من التعارض حُملت إحداهما على حال، وحُملت الأخرى على حالٍ أخرى، مثل ما قلنا في الشفاعة، الشفاعة التي أثبتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن ما هي؟ هي الشفاعة التي تكون بإذن الله وبرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن المشفوع له، والشفاعة التي نفاها هي التي لا يكون فيها هذان الأمران إذنٌ من الله ولا رضًا عن المشفوع له هذه المنفية نفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٤]، نفى الشفاعة هنا، وجاء في آيةٍ أخرى أثبت الشفاعة، فالذي نفاه، الشفاعة التي نفاها هي الشفاعة للكافر الذي لم يرضى الله عنه، لم يرضى الله عمله ولا قوله، هذا ليس له شفاعة، أما أهل الإيمان فلهم شفاعة يشفع لهم الملائكة، ويشفع لهم الأنبياء، ويشفع لهم الصالحون من عباد الله، هذا ثابت ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]، فالشفاعة بإذن الله ورضاه عن المشفوع له هذه ثابتة وبدونهما، بدون الإذن وبدون الرضا هذه منفية.

إذًا القاعدة فيما أثبت ونفي يُحمل المثبت على شيء، والمنفي على شيء آخر، ولهذا فإنما أثبت غير الذي نُفي، الذي أثبت غير الذي نُفي، إذا أثبت الله شيئًا ونفاه فالمثبت غير المنفي قطعًا.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الآياتُ القرآنية التي ظاهرها التضاد يجبُ حملُ كلُّ نوعٍ منها على حال بحسب ما يليقُ ويناسبُ المقام)**؛ ثم أخذ يسوق أمثلة كثيرة توضح القاعدة.

قال: **(وهذا في مواضع مُتعدِّدةٍ من القرآن، منها: الإخبارُ في بعضِ الآياتِ أنَّ الكفَّار لا ينطقونَ، ولا يتكلمونَ يومَ القيامة)**؛ قال: **(وفي بعضها: أنّهم يَنْطِقونَ ويُحاجُّون، ويعتذرونَ)**؛ فكيف نجمع بين الأمرين؟ آياتٌ فيها إثبات نطقٍ وكلامٍ من هؤلاء، وآياتٌ تنفي ذلك وتقول أنهم لا ينطقون ولا يتكلمون، إثبات ونفي، أعيد سؤالًا سابقًا، هل المثبت هو عين المنفي؟ لا، المثبت شيء والمنفي شيء آخر، وبهذا يزول توهم التعارض بين الآيتين، المثبت شيء والمنفي شيءٌ آخر، ما هو المثبت وما هو المنفي؟

يقول: **(فحْمَلُ كلامِهم ونُطْقِهم أنّهم في أوّلِ الأمرِ يتكلّمونَ ويعتذرون، وقدْ يُنكِرون ما هُمْ عليهِ مِنَ الكفر)**؛ هذا في بداية الأمر، يتكلمون ويجحدون أنهم فعلوا هذه الأمور، وأنهم باشروا هذه الأشياء يجحدون ذلك في البداية، ثم يختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أفواههم، ختمه على أفواههم بعد ماذا؟ بعد كلامٍ حصل منهم جحدوا فيه أنهم فعلوا هذه الأشياء؛ فيختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أفواههم، وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، مثل ما جاء في الآيات في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.. أول الآيات أيش؟ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس، من الآية:٦٥]، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [سورة فصلت، من الآية:٢١]، هذا كلام ينطقونه، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٢١-٢٣]، فالشاهد أن الكلام الذي أُثبت لهؤلاء هو في بداية الأمر، وبدأوا بالجحد والإنكار وقالوا: لم نفعل هذا، لم نشرك، لم نباشر هذه المعاصي، فيختم الله على أفواههم، ويأمر جلودهم وأيديهم وأرجلهم فتنطق، كل واحدٍ منهم ينطق جلده، وتنطق يده، وينطق فرجه، وتنطق قدمه بما كان يعمل، تنطق بصوتٍ يُسمع، تقول فعل كذا وكذا، وكذا، وكذا تخبر عنه بما كان يعمله ويخالفه من معاصٍ وذنوب، ثم يقول مخاطبًا لهذه التي نطقت منه بما كان يكسب وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٢١].

فيقول الشيخ: (**فحْمَلُ كلامِهم ونُطْقِهم أنّهم في أوّلِ الأمرِ يتكلّمونَ ويعتذرون، وقدْ يُنكِرون ما هُمْ عليهِ مِنَ الكفر ويُقسِمُونَ على ذلك، ثمَّ إذا خُتمَ على ألسِنَتِهم، وشَهِدَتْ عليهم جوارحُهم بِما كانوا يكسِبون، ورأوا أنَّ الكذبَ غيرُ مفيدٍ لهم أُخْرِسوا فلمْ ينطقوا**)؛ إذًا النطق يُحمل على حال، وعدمه يُحمل على حال، فيكون محمولًا على اختلاف الأحوال والمقامات، يكون محمولًا، أي: النطق أو عدم النطق على اختلاف الأحوال والمقامات.

أيضًا فيما يتعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آيات تُثبت أنه يكلمهم، وآيات تنفي أنه يكلمهم، أي: الكفار.

يقول الشيخ: (**وكذلكَ الإخبارُ بأنَّ الله تعالى لا يُكلّمهم، ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامة معَ أنّهُ أثبتَ الكلامَ لهمْ معهُ**)؛ فكيف يكون الأمر، يعني في آيات تنفي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكلمهم، وفي آياتٍ تثبت ذلك، ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠٨]، هذا كلامٌ من الله لهؤلاء، وفي آياتٍ نفى ذلك أنه لا يكلمهم، آياتٍ عديدة فيها أنه لا يكلمهم.

يقول: (**فالنفيُ واقعٌ على الكلامِ الذي يسرُّهمْ، ويجعلُ لهم نوعَ اعتبار**)؛ هذا الكلام المنفي، الكلام المنفي لا يكلمهم، أي: الكلام الذي يسرهم، ويؤنسهم، ويكون لهم فيه نوع اعتبار، بمعنى أنه لا يكلمهم كلامًا تكرمةٍ، وكلام إنعامٍ، لا يكلمهم كلامًا من هذا النوع، لكنه يكلمهم كلام تقريع، كلام عقوبة، ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠٨]، هذا كلامٌ لا يؤنسهم لا يأنسون به، هذا كلامٌ يعني أن الأمر انتهى، وأنكم في عقابٍ أبدي ومستمر، ولهذا أشد كلمةٍ يسمعها الكافر يوم القيامة في نار جهنم ما جاء في سورة: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة النبأ، من الآية:١]، قوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [سورة النبأ، من الآية:٣٠]، يعني: ليس هناك توقف للعذاب، وليس هناك تخفيفٌ للعذاب، وليس هناك موتٌ وانتهاءٌ للعذاب، كل ذلك لا وجود له، ليس أمامكم إلا الزيادة في العذاب، عذابٌ دائم ومستمر، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، ولهذا قال غير واحدٍ من المفسرين إن أشد آيةٍ على الكفار يوم القيامة هي هذه الآية: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

فإذًا هناك آيات تثبت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكلمهم مثل هذا الكلام، ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، ونحو هذا الكلام، أما كلام التكرمة، وكلام الإنعام، وكلام اللطف، وكلام الإحسان فهذا لا حظ لهم منه لا من قليل ولا من كثير، نفاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم، لا يكلمهم الله.

قال: (**وكذلكَ النظرُ**)؛ لا ينظر الله إليهم، ما المراد بالنظر الذي نفاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ الله جَلَّ وَعَلَا لا يغيب عن بصره شيء يرى كل شيء، يرى ببصره كل المبصرات، لكن النظر الذي نفاه عن هؤلاء في بعض الآيات لا ينظر الله إليهم هو نظر الإنعام والتكرمة والإحسان، نفى ذلك جَلَّ وَعَلَا عنهم، أما النظر الذي هو إبصار جميع المبصرات، ورؤية جميع الكائنات هذا ثابت لم ينفيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يُنفى، بل هو ثابتٌ لله جَلَّ وَعَلَا، وهو عز شأنه يرى كل شيء لا يخفى ولا يغيب عن بصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء، فيكون المراد بنفي النظر لا ينظر الله إليهم، أي: نظر التكرمة، واللطف، والإنعام، والإحسان.

قال: (**وكذلكَ النظرُ، والإثباتُ واقعٌ على الكلامِ الواقعِ بينَ الله وبينهم على وجهَ التّوبيخِ لهم والتّقريع**)؛ يعني: ما جاء في القرآن من إثبات كلامٍ لله مع هؤلاء فهو واقعٌ على وجه التوبيخ والتقريع، أما على وجه التكرمة والإنعام هذا لا حظ لهم فيه ولا نصيب.

قال: (**فالنفيُ يدلُّ على أنَّ الله ساخطٌ عليهم، غيرُ راضٍ عنهم، والإثباتُ يوضّحُ أحوالهم، ويُبيِّن للعبادِ كمالَ عدلِ الله بهم، إذ وضعُ العقوبة مَوْضِعَها**)؛ مرة ثانية يقول: النفي نفي الكلام يدل على أن الله ساخط عليهم وغير راضٍ عنهم، لا يكلمهم هذا دليل على سخطه وعدم رضاه عن هؤلاء، والآيات التي فيها إثبات كلامٍ لهؤلاء هذه تشرح وتُبين أحوال هؤلاء في الموقف، وكمال عدل الله معهم، وأنهم إذا جاءوا يوم القيامة وقالوا: نحن ما فعلنا هذه الذنوب، ولا ارتكبنا هذه الخطايا، ولا وقعنا في الشرك، ختم الله حينئذٍ على أفواه هؤلاء، وأمر جلودهم أن تنطق، وأيديهم أن تنطق، وأرجلهم أن تنطق، وهذا يُبين كمال عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع عباده.

قال: (**ونظيرُ ذلك أنَّ في بعضِ الآياتِ أخبرَ** عَزَّوَجَلَّ **أنه**: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:٣٩])؛ وهذه يُفهم منها أنه ليس هناك سؤال عن الذنب، ما معنى ليس هناك سؤالٌ عن الذنب؟ لا يُسأل أحد يقال: هل أذنبت أم لم تذنب؟ هل ارتكبت الذنوب أو لم ترتكبها؟ هل باشرتها أو لم تباشرها؟ ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، هذه آية نفت السؤال.

وهناك آيات عديدة تُثبت السؤال مثل قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٩٢]، هذا سؤال، أيضًا: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص، من الآية:٦٥]، هذا سؤال أوضح من هذا: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:٢٤]، هذا سؤال، فعلى ماذا يُحمل نفي السؤال؟ وعلى ماذا يُحمل إثبات السؤال في آيةٍ أخرى؟ ونحن القاعدة التي

تقررت عندنا أنه إذا أُثبت شيءٌ ونفي، لاحظ هنا الآن أُثبت سؤال ونُفي السؤال، إذا أُثبت شيءٌ ونُفي فالمثبت غير المنفي، إذا تقررت القاعدة نبدأ ننظر في المراد.

فإذًا قوله: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنّٞ﴾، هذا نفيٌ للسؤال، وهناك آياتٌ أثبتت السؤال وأنهم يُسئلون يوم القيامة، والقاعدة أن الشيء إذا أُثبت في القرآن ونُفي فالمثبت غير المنفي.

وعليه يأتي هنا السؤال وهو: ما هو السؤال الذي نُفي في قوله: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنّٞ﴾؟ وما هو السؤال الذي أُثبت في قوله: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؟

يقول الشيخ: (**ويسألهم عَنْ أعمالِهم كُلِّها، فالسؤال المنفي**)؛ أي في قوله: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنّٞ﴾، (**هو سؤالُ الاستعلام والاستفهام عن الأمورِ المجهولة**)؛ هل هذا يكون يوم القيامة؟ هل مثل هذا السؤال يقع يوم القيامة؟ أن يُسأل المذنبون سؤالًا هو استفهامٌ واستعلامٌ منهم عن أمرٍ مجهول غير معروف للسائل، هل يكون؟ حاشا وكلا، بل كل أعمالهم محصاة، هم نسوها وهي محصاةٌ عليهم، ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٦]، فلا يُسئلون عن ذنوبهم سؤال استفهامٍ واستعلام، سؤال من لا يعلم هل فعلوا ذلك أو لم يفعلوه؟ هل وقع منهم ذلك أو لم يقع؟ لا يمكن أن يقع مثل هذا السؤال، وهذا هو المعني بقوله: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنّٞ﴾، يعني: سؤال استعلام هل فعلًا وقع منك الذنب أو لم يقع، يُستعلم منه ويُستفهم؟ هذا لا يقع.

ولهذا هذه الآية من الآيات التي تُحرك في الإنسان الخوف من الموقف؛ لأن كل شيء محصى عليك، ولن تُسأل يوم القيامة هل فعلت أو لم تفعل؛ لأنه محصى عليك ومدون في كتابٍ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [سورة الكهف، من الآية:٤٩].

قال: (**فإنّهُ لا حاجة إلى سؤالهم معَ كمالِ عِلمِ الله**)؛ لا حاجة إلى سؤالهم أي: سؤال استعلامٍ واستفهام مع كمال علم الله؛ لأن الله علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محيط، والأعمال كلها محصاة، (**معَ كمالِ عِلمِ الله واطِّلاعِهِ على ظاهرهم وباطنهم وجليلِ أمورِهم ودقيقِها**).

قال: (**والسؤال المُثْبَت**)؛ يعني في قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٩٢]، ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص، من الآية:٦٥]، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:٢٤]، السؤال المثبت في هذه الآيات (**واقعٌ على تقريرهم بأعمالهم، وتوبيخهم، وإظهارِ أنَّ الله حَكَمَ فيهم بعدلِهِ وحِكْمتِهِ**)؛ فظهر بهذا أنه ليس بين الآيات تعارض.

القارئ:

ومن ذلك: الإخبارُ في بعضِ الآياتِ أنّهُ لا أنسابَ بينَ النّاسِ يومَ القيامة، وفي بعضها: أثبتَ لهم ذلك، فالمُثْبِتُ هو الأمرُ الواقعُ والنّسبُ الحاصلُ بينَ النّاس كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [سورة عبس، من الآية:٣٤-٣٥]، إلى آخرها، والمنفيُّ: هو الانتفاع بها، فإنَّ كثيرًا منَ الكفّار يدَّعون أنَّ أنسابهم تنفعهم يومَ القيامةِ، فأخبرَ تعالى أنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٨٩]، ونظيرُ ذلكَ: الإخبار في بعضِ الآيات أنَّ النّسبَ نافعٌ يومَ القيامةِ، كما في إلحاقِ ذريّة المؤمنينَ لآبائهم في الدرجات، وإنْ لمْ يبلغوا منزلتهم، وأنَّ الله يجمعُ لأهلِ الجنات والدرجات العالية مَنْ صلحَ مِنْ آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم، فهذا لمّا اشتركوا في الإيمانِ وأصلِ الصّلاح زادهم مِنْ فضلِهِ وكرمِهِ مِنْ غيرِ أنْ ينقص مِنْ أجورِ السابقينَ لهم شيئًا.

الشيخ:

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا المثال، وهو يتعلق بالأنساب، تجد في القرآن آيات تُثبت النسب يوم القيامة، فقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [سورة عبس، من الآية:٣٤-٣٥]، هذا إثباتٌ للنسب، أم وأخ وأب هذا نسب، فهذا إثباتٌ للنسب، وتجد في آياتٍ أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠١]، نفت النسب، فهل النسب المثبت هو النسب المنفي؟ أبدًا، إذا نُفي في القرآن شيء وأُثبت فالمثبت غير المنفي، هذه قاعدة المثبت غير المنفي، إن قلت: إن المثبت هو عين المنفي وقع التعارض، كيف يكون هو عينه مرةً يُثبت، ومرةً يُنفى؟ لكن القاعدة أنه إذا أثبت ونفي فالمثبت غير المنفي، المثبت شيء والمنفي شيءٌ آخر.

فهنا نلاحظ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾، أثبت النسب، أثبت أم، وأثبت أخ، وأثبت أب هذا نسب، وفي آية النفاخ قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، فإذًا ما هو النسب الذي أُثبت، وما هو النسب الذي نُفي؟ حتى يزول التعارض الذي يظهر للإنسان من هذه الآيات.

يقول الشيخ: (**فالمُثْبِتُ هو الأمرُ الواقعُ والنّسبُ الحاصلُ بينَ النّاس**)؛ يعني: هذا النسب هو واقع، هذا أخوه، وأبوه، أمه، خاله، عمه، وهذه واقعة، قد يكون هذا في الجنة وذاك في النار، وقد يكون كلهم في النار، وقد يكون كلهم في الجنة النسب باقي، هذا ابنه، وهذا عمه، وهذا خاله، وهذا.. هذه الأنساب باقية، هذه الأنساب باقية لم تلتغي، لم تُلغى ببعث الناس يوم القيامة هي باقية، وهذا أخوه، وهذا أمه، إلى آخره هذه أشياء باقية ثابتة في نفس الأمر، ثابتة في نفس الأمر، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾، فأثبت هذا الأمر الذي هو ثابت في نفس الأمر وجود النسب.

قال: (**فالمُثْبِتُ هو الأمرُ الواقعُ والنّسبُ الحاصلُ بينَ النّاس كقوله**: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾، **إلى آخرها**)؛ قال: (**والمنفيُّ: هو الانتفاع بها**)؛ عندما يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾، ليس معناه أن الإنسان يأتي يوم القيامة وأبوه ليس أباه، ليس هذا المعنى، ولا أمه ليست أمه، لا أمه هي أمه، وأبوه هو أبوه، وإخوانه هم إخوانه، وكلٌ يذهب إلى مصيره بحسب إيمانه وعمله وحاله، لكن ما النسب الذي نُفي في قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾؟ أي: الانتفاع بالنسب، الانتفاع بالنسب، يوضح ذلك قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من بطئ به دينه لم يُسرع به نسبه**»، فالنسب المنفي هو النسب الذي ينفع الإنسان، هل يُنقذ الإنسان نسبه من النار؟ هل يُنقذه نسبه من النار؟ لا، الذي يُنقذه من النار إيمانه وعمله الصالح، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:١٣]، فالعبرة بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإيمان، بالعمل الصالح، أما النسب فليس هو الذي يُنجي الإنسان، فإذا جاء الإنسان بنسب وليس عنده إيمانٌ ولا عملٌ صالح، أين يذهب؟ ليس له إلا النار، ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠١]. هذا معنى قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠١-١٠٢]، أي: بالإيمان والعمل الصالح، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠٢]، بقطع النظر عن النسب، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠٣-١٠٤].

قال: (**والمنفيُّ: هو الانتفاع بها، فإنَّ كثيرًا منَ الكفّار يدَّعون أنَّ أنسابهم تنفعهم يومَ القيامةِ**)؛ يدَّعون هذه الدعوة فنفى الله ذلك، قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠١]، نفى ذلك، (**فأخبرَ تعالى**

أنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٨٩])؛ إذًا اتضح الفرق بين النسب المثبت والنسب المنفي في الآيات.

قال: (**ونظيرُ ذلكَ: الإخبار في بعضِ الآيات أنَّ النّسبَ ينفع يومَ القيامةِ**)؛ وهذا أيضًا لا يُعارض ما سبق أن النسب ينفع يوم القيامة، دلت الآيات على أنه لا ينفع، ولكن دلت آيات أنه ينفع بصورة مخصوصة معينة، فتكون هذه الصورة المخصوصة المعينة ليست معارضةً للأصل العام وهو أن الأنساب لا تنفع يوم القيامة، ما هي الصورة المخصوصة المعينة التي تدل على نفع النسب وإفادته يوم القيامة؟ اقرأها في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [سورة الطور، من الآية:٢١]، هذه فضل من الله، هذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نسب ينفع هنا بشكل مخصوص معين فضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن؟ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة الطور، من الآية:٢١]، إذًا الإيمان لا بد منه، بدون الإيمان لا يمكن أن ينفع نسب، لكن هنا ينفع النسب في صورة معينة مخصوصة بشرط وجود الإيمان، ولهذا صُدرت الآية به، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [سورة الطور، من الآية:٢١]، ماذا؟ ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور، من الآية:٢١]، يعني: الأب مثلًا والأبناء كلهم أهل إيمان، وكلهم دخلوا الجنة، لكن أباهم إيمانه وأعماله الصالحة أعلى من أبناءه، وطاعاته أكثر فكانت درجته في الجنة أعلى من درجتهم، يتفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على هذا الأب فيُلحق به أبناءه، وإن كانوا ماذا؟ أقل، يُلحق أبناءه به في درجته، قال: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [سورة الطور، من الآية:٢١]، لكن فضل وكرامة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُلحق الأبناء بحيث يجتمع الأب ويلتم الشمل، ويكونون في درجةٍ عالية في الجنة، لا يُنزل صاحب الدرجة الرفيعة مع أبناءه الذين هم في درجةٍ أقل، و إنما يتفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيرفع الأبناء والذرية والأهل معه، ويكونون في درجةٍ واحدة.

لكن لو كان واحدٌ من الأبناء ليس مؤمنًا، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لن يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة**»، إذا كان أحد الأبناء ليس مؤمنًا لن يدخل الجنة أصلًا فضلًا عن أن يرقى إلى درجة والده مثلًا العالية في الجنة، لن يدخل الجنة أصلًا.

فإذًا هنا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور، من الآية:٢١]، هذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أهل البيت من أهل الإيمان إذا دخلوا الجنة وكان واحدًا منهم رفيعًا في درجةٍ عالية في الجنة بإيمانه، وأعماله، وطاعاته، وأبناءه وذويه دونه في العمل، وهم معه في الجنة يكرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويرفعهم معه

في الجنة، فيكونون معًا في درجةٍ عالية، درجةٍ واحدة دون أن يُنقص الأعلى فيُنزله إلى درجة الأدنى، بل يرفع الذي في الدرجة الأدنى مع الأعلى تفضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتكرمًا، والفضل ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[سورة الحديد، من الآية:٢١]،نسأل الله الكريم العظيم من فضله.

القارئ:

ومِنْ ذلك: الشفاعة فإنّهُ أثبتها في مواضع ونفاها في مواضعَ مِنَ القرآن، وقيّدها في بعضِ المواضعِ بإذنهِ ولمنْ ارتضى مِنْ خَلْقِهِ، فَتعيّنَ حملُ المطلقِ على المقيّد، وأنّه حيثُ نُفيت فهي الشفاعة التي بغيرِ إذنهِ، ولغيرِ مَنْ رضي الله قولهُ وعمله، وحيثُ أُثْبِتَت فهي الشّفاعة التي بإذنهِ لمنْ رضيهُ وأذنَ فيهِ.

الشيخ:

ثم ذكر مثالًا آخر وهو الشفاعة، والشفاعة جاء في آيات إثباتها، وجاء في آياتٍ أخرى نفيها، جاء في آياتٍ إثبات الشفاعة، وجاء في آياتٍ نفي الشفاعة وعدم إثباتها، مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٥٤]،نفى الشفاعة هنا، قال: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾، نفاها، وجاء في آياتٍ أخرى عديدة أثبت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشفاعة في مثل قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ﴾[سورة النجم، من الآية:٢٦]، أثبت الشفاعة لهم، قال: ﴿شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[سورة النجم، من الآية:٢٦]، فتجد آيات تُثبت شفاعة، وآيات تنفي لا شفاعة تنفي، وآيات مثبتة، ونحن القاعدة عندنا انضبطت وهي أنه إذا أُثبت في القرآن شيء ونفي فالمثبت غير المنفي.

فما هي الشفاعة التي نفاها الله؟ الشفاعة التي نفاها الله في القرآن هي تلك الشفاعة التي يعتقدها الكفار في معبوداتهم؛ ألا وهي أن معبوداتهم تملك عند الله شفاعةً ابتدائيةً لمن شاءت بدون إذن الله، هذا موجود؟ حاشا وكلا، نفاه الله وأبطله في آياتٍ كثيرةٍ جدًا في القرآن الكريم أبطل هذا الذي يعتقده أهل الشرك، وانصرفوا يعبدون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويستنجدون بغير الله، ويطلبون المدد من غير الله، ويعتقدون فيمن يستنجدون به ويسألونه ويستغيثون به أنه يملك لهم الشفاعة ابتداءً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا باطل نفاه الله جَلَّ وَعَلَا في القرآن وأبطله، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[سورة يونس، من الآية:١٨]، هذا أبطله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم، إذًا الشفاعة المنفية هي هذه الشفاعة التي يعتقدها المشركون.

والشفاعة المثبتة التي أثبتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن لها شرطان دل عليهما القرآن؛ ألا وهما: (إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له).

- إذن الله للشافع، قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٥].

- رضاه عن المشفوع له، قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:٢٨].

وجمع الله عَزَّوَجَلَّ بين هذين الشرطين في قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]، بشرطين، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]، هذا شرط، ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]، هذا شرط ثاني، إذا وجد أفادت الشفاعة أن يكون الله أذن للشافع، وأن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رضي عن المشفوع له، هذه الشفاعة حينئذٍ تنفع وتفيد.

ولهذا لما قال أبو هريرة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»، في الحديث الآخر قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لكل نبيٍ دعوةٌ مستجابة، وإني ادخرت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، وإنها نائلةٌ إن شاء الله -انظر الشرطين- وإنها نائلةٌ إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئًا**»، «**نائلةٌ إن شاء الله**» هذا ماذا؟ إذن الله للشافع، «**من لا يشرك بالله شيئًا**» رضى الله عن المشفوع له؛ لأن الله لا يرضى عن المشركين، ولهذا قال الله عن المشركين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [سورة المدثر، من الآية:٤٨]، ولو كان أقرب قريب، ولو كان الشافع أقرب مقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لو كان الشافع أقرب قريب، وكان المشفوع له أيضًا مقرب للشافع ما تنفع الشفاعة.

واعتبر ذلك فيما جاء في الصحيحين في صحيح البخاري، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يلقى إبراهيم الخليل أباه يوم القيامة، فيقول: ألم أقل لك لا تعصني؟**»، إبراهيم يقول لوالده ألم أقل لك لا تعصني؟ «**فيقول والده: الآن لا أعصيك**»، يقول والده الحديث في صحيح البخاري، «**يقول: الآن لا أعصيك، ألم أقل لك لا تعصني؟ يقول: الآن لا أعصيك، فيقول إبراهيم -وهذه شفاعة-: يا رب ألم تعدني ألا تخزني يوم يبعثون؟ وأي خزيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ قال: فيقول انظر أسفل قدميك، فينظر وإذا بذيخ**»، والذيخ ذكر الضباع، يعني: يتحول والده على هذه الصورة ينظر، وإذا صورة والده وهيئة والده على هذه الهيئة، وإذا بذيخ ملطخٌ بدمه، ينظر وإذا والده على هذه الصفة، على صفة ذيخ يعني ذكر الضباع، قال: «**فيؤخذ بقوائمه فيُطرح في النار**»، يُلقى في نار جهنم.

فإذًا الآيات التي تنفي الشفاعة في القرآن الكريم المراد بها الشفاعة التي يعتقدها المشركون في معبوداتهم، وأوثانهم، وأصنامهم، ومن يتعلقون بهم هذه أبطلها الله في القرآن، وأثبت جَلَّوَعَلَا في القرآن شفاعةً بشرطين: إذن الله للشافع، ورضاه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عن المشفوع له، وضُم لهما أمرًا ثالثًا يوضح المقصود؛ ألا وهو أن الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، فهذه ثلاثة أمور يجب أن تُعرف في باب الشفاعة:

الأول: أنه لا شفاعة إلا بإذن الله.

الثاني: لا شفاعة إلا لمن رضى الله قوله وعمله.

الثالث: لا يرضى الله إلا عن أهل التوحيد، وإذا جاء الإنسان يوم القيامة -والعياذ بالله- مشركًا لا مطمع له في مغفرة الله، ولا سبيل له لنيل رَحِمَهُٱللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:١١٦].

قال: (**ومِنْ ذلك: الشفاعة فإنّهُ أثبتها في مواضع، ونفاها في مواضعَ مِنَ القرآن، وقيّدها في بعضِ المواضعِ بإذنهِ ولمنْ ارتضى مِنْ خَلْقِهِ، فَتعيّنَ حملُ المطلقِ على المقيّد، وأنّه حيثُ نُفيت**)؛ أي: الشفاعة، (**فهي الشفاعة التي بغيرِ إذن، ولغيرِ مَنْ رضي الله قولهُ وعمله**)؛ أي آيةٍ تمر عليك في القرآن يقول الله فيها ولا شفاعة ليس المراد بها نفي الشفاعة يوم القيامة مطلقًا، لماذا؟ لأن هناك آيات أثبتت الشفاعة، فماذا تصنع؟ يقول لك: احمل المطلق على المقيد، إذًا الآيات التي فيها "ولا شفاعة" نحملها على الشفاعة التي بغير إذن، أو عن غير رضا، بغير إذن للشافع، أو عن غير رضا عن المشفوع له هذه منفية، وأما التي بإذنٍ من الله للشافع، ورضًا من الله عن المشفوع له هذه ثابتة.

قال: (**وحيثُ أُثْبِتَت فهي الشّفاعة التي بإذنهِ لمنْ رضيهُ وأذنَ فيهِ**)؛ أطرح سؤالًا في القرآن شفاعةٌ مثبتة، وشفاعةٌ منفية، فما هي المثبتة، وما هي المنفية؟

المثبتة: هي التي بإذن الله للشافع، ورضا الله عن المشفوع له، وما لم تكن كذلك فهي منفية، ما لم تكن كذلك ليس فيها إذن من الله ولا رضا هذه منفية باطلة أبطلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في القرآن، وبهذا يتحرر الجمع بين الآيات التي في القرآن تثبت الشفاعة، وأخرى تنفي الشفاعة.

القارئ:

ومِنْ ذلك: أنَّ الله أخبرَ في آياتٍ كثيرةٍ أنَّهُ لا يهدي القومَ الكافرينَ والفاسقين والظالمين ونحوها، وفي بعضها: أنّهُ يهديهم ويوفقهم، فيتعيّنَ حَمْلُ المنفيّات على مَنْ حقّت عليهِ كلمةُ الله، لقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ

عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾[سورة يونس، من الآية:٩٦-٩٧]، وحَمْلُ المثبتات على مَنْ لمْ تحق عليهم الكلمة، وهذا هو الحق الذي لا ريبَ فيهِ.

الشيخ:

هذا مثال آخر يقول: في آيات عديدة في القرآن يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فيها: (**لا يهدي القومَ الكافرينَ، لا يهدي القوم الفاسقين، لا يهدي القوم الظالمين**)؛ وهناك آيات أخرى دلت على أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هدى خلقًا من الكفار، وهدى خلقًا من الظلمة، وهدى خلقًا من الفُساق، فكيف نجمع بين آياتٍ فيها أن الله لا يهدي القوم الظالمين، ولا يهدي القوم الفاسقين، ولا يهدي القوم الكافرين، وبين آياتٍ تدل على أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هدى خلقًا من هؤلاء، هدى خلقًا من الكافرين، وخلقًا من الظالمين، وخلقًا من الفاسقين، والقاعدة عندنا تقررت وهي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى إذا أثبت شيئًا ونفاه فالمثبت غير المنفي، فما المراد بالآيات التي فيها: ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٨]، ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[سورة المائدة، من الآية:١٠٨]، لا يهدي القوم المجرمين، ما المراد بها؟ وما المراد بالآيات التي أثبتت هدايةً للظالمين، وهدايةً للمجرمين؟

يقول الشيخ لبيان الجمع بين الآيات يقول: (**فيتعيّنَ حَمْلُ المنفيّات**)؛ في مثل: ﴿ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٨]، لا يهدي القوم المجرمين، ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[سورة المائدة، من الآية:١٠٨]، (**حَمْلُ المنفيّات على مَنْ حقّت عليهِ كلمةُ الله**)؛ يعني: حل عليه سخطه، وحقت عليه كلمته، وختم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على قلبه، وطبع على قلبه، فمن كانت هذه حالة فهو المعني بقوله: لا يهديهم الله، فهو المعني بالآيات التي فيها لا يهديهم الله.

يوضح ذلك الآية الكريمة التي ذكر المصنف، وهي قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة يونس، من الآية:٩٦])؛ إذًا تُحمل الآيات التي فيها نفي الهداية عن الكافرين والظالمين والفاسقين على من حقت عليه كلمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى التي فيها الختم والطبع على قلبه وأنه لا يؤمن، فمن كان هذا شأنه هو المعنى بمثل تلك الآيات، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ [سورة يونس، من الآية:٩٦-٩٧].

(**وحَمْلُ المثبتات**)؛ يعني: حمل الآيات المثبتات للهداية للمجرمين، والظالمين، والمعتدين، (**على مَنْ لمْ تحق عليهم الكلمة**)؛ قال: (**وهذا هو الحق الذي لا ريبَ فيهِ**)؛ أي: في الجمع بين هذه الآيات.

القارئ:

ومِنْ ذلكَ: الإخبارُ في بعضِ الآيات أنّهُ العليُّ الأعلى، وأنّهُ فوقَ عبادِهِ وعلى عَرْشِهِ، وفي بعضها: أنّهُ مع العبادِ أينما كانوا، وأنّهُ معَ الصّابرين والصّادقين والمحسنين ونحوهم، فعُلوُّه تعالى أمرٌ ثابتٌ له، وهو مِنْ لوازمِ ذاتِهِ، ودُنوّه ومعيَّته لعبادِهِ؛ لأنّهُ أقربُ إلى كلِّ أحدٍ مِنْ حبلِ الوريد، فهو على عَرْشِهِ عَليٌّ على خلقِهِ، ومع ذلكَ فهو معهم في كلِّ أحوالهم، ولا منافاة بين الأمرين؛ لأنَّ الله تعالى ليسَ كمثلِهِ شيءٌ في جميعِ نُعوتِهِ، وما يُتوهّم بخلافِ ذلكَ فإنّه في حق المخلوقين.

وأمّا تخصيصُ المعيَّة بالمحسنين ونحوهم، فهي معيَّةٌ أخصُّ مِنَ المعيّة العامة، فإنّها تتضمّن محبتهم وتوفيقهم، وكلاءتهم، وإعانتهم في كلِّ أحوالهم، فحيثُ وقعتْ في سياقِ المدح والثناء فهي مِنْ هذا النوع، وحيثُ وقعتْ في سياقِ التحذير والترغيب والترهيب فهي مِنَ النوعِ الأول.

الشيخ:

ثم ذكر هذا المثال ويتعلق بصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آيات عديدة في القرآن تُثبت العلو، علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه، والآيات التي تُثبت العلو في القرآن بالعشرات، عشرات الآيات، بل مئات الآيات التي فيها إثبات علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه.

وهناك آياتٌ تثبت المعية، هناك آيات يقول فيها: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:٤]، ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[سورة الرعد، من الآية:٩]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[سورة الأعلى، من الآية:١]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[سورة الأنعام، من الآية:٦١].

آيات تثبت العلو: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[سورة الأعراف، من الآية:٥٤]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[سورة الملك، من الآية:١٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهناك آياتٌ تُثبت المعية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[سورة الحديد، من الآية:٤]، ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[سورة المجادلة، من الآية:٧]، فهل إثبات علو الله يكون معارضًا ومناقضًا لإثبات المعية؟ الجواب: لا، ليس هناك تعارضٌ بين إثبات العلو والإيمان به وإثبات المعية والإيمان بها.

ولهذا في آيةٍ واحدة من القرآن جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين الأمرين العلو والمعية، في الآية الثالثة من سورة الحديد، وهي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[سورة الحديد، من الآية:٤]،هذا إثبات العلو، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سورة الحديد، من الآية:٤]،فأثبت في

صدر الآية علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واستواءه على عرشه، استواءً يليق بجلالة وكماله وعظمته سبحانه، وفي تمام الآية أثبت لنفسه المعية قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤].

والمعية المثبتة هنا في الآية دل سياق الآية، وسباقها ولحاقها أن المراد به العلم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾،أي: بعلمه واطلاعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخفى عليه منكم شيء، فهو بذاته مستوٍ على العرش، بائنٌ من الخلق، استواءً يليق بجلالة وكماله وعظمته، وهو مع خلقه بعلمه، من أين قلنا إن المراد بالمعية هنا العلم؟ وهذا أمرٌ أجمع عليه السلف، من أين قلنا أن المراد بالمعية العلم؟ أن المراد بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾،المراد علمه، من أين؟ قال الإمام أحمد: اقرأ أول الآية وخاتمة الآية، الكلام كله في العلم، الكلام كله من بداية الآية من قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤]،إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤]،كله في العلم، فأفاد أن المراد بالمعية العلم، إذًا هل هناك تنافي بين الآيات التي تُثبت علو الله وبين الآيات التي تثبت المعية؟ ليس هناك تعارض؛ لأن الآيات التي تثبت علو الله هذه تثبت أن الله عليٌّ على خلقه بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والآيات التي تثبت المعية تثبت أن الله معهم باطلاعه وعلمه لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عنه شيء ولا يعزب عنه شيء، بل هو مطلعٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيء.

مثلها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٧]، ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٧]، أي: بعلمه؛ لأن الآية صدرها وخاتمتها كله في ماذا؟ في العلم، فإذًا: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤]، المراد به علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهل قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٧]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤]، معارضٌ لقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٤]؟ لا ليس معارضًا له؛ لأن ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ باب، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤]، بابٌ آخر، واضح؟

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾باب، باب إثبات علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته فوق مخلوقاته، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، هذه في بابٍ آخر وهو في باب ماذا؟ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ

فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٤]، هذه باب إثبات العلم فلا تعارض بين الآيتين، الآيات أو لا تعارض بين الآيات المثبتة للعلو والآيات المثبتة للمعية.

بعض المبطلة ماذا فعلوا؟ بعض أهل الباطل جاءوا إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٧]، جاءوا إلى هذه الآيات وانتزعوها من سياقها، وجردوها من سباقها ولحاقها، وقالوا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾، أي: بذاته حالٌ في مخلوقاته، تعالى عما يقولون، وسبحان الله عما يصفون، وهذا ضلال وباطل، وهذا الذي إذا قُرر صار مصادمًا للآيات الكثيرة التي تثبت، ماذا؟ علو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على خلقه، أما إذا فهمت الآية على وجهها الصحيح، وبنيتها على سياق القرآن وسباقه ولحاقه سلم لك اعتقادك، وصح لك إيمانك ولم تقع في شيءٍ من التضارب في فهمك كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ثم إن الآيات التي جاءت في القرآن مثبتةً للمعية على نوعين:

نوعٌ أثبتت معيةً عامة مثالها الآيتين اللتان مرتا معنا، قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾، ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [سورة المجادلة، من الآية:٧]، هذه يسميها العلماء معية عامة، ما معنى معية عامة؟ يعني: تشمل جميع المخلوقات مسلم، وكافر، وبر، وفاجر، وصالح، وفاسد، الجميع الله معهم بماذا؟ بعلمه يعني مطلعٌ الله جَلَّ وَعَلَا على الجميع على المسلمين، والكفار، والفاسقين، والفجار، كل هؤلاء رب العالمين يعلم بهم، ومطلعٌ عليهم، ولا تخفى عليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ منهم خافية.

وجاء في آياتٍ أخرى إثبات معيةٍ خاصة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:١٢٨]، ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، من الآية:٤٠]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:٤٦]، هذه تسمى معية خاصة، ما معنى خاصة؟ أي: خص بها أنبياءه، وأولياءه، وأصفياءه، وعباده المقربين، هذا معنى خاصة.

وإذا جاءت المعية، إذا جاء ذكر المعية معية الله لعباده في القرآن في سياق الثناء، وسياق المدح فهي خاصة، وهي تعني الحفظ، والتوفيق، والتأييد، والتسديد، والكلاءة، والرعاية، والعناية وغير ذلك من المعاني الخاصة بأولياء الله وأصفياءه وعباده.

وأما المعية العامة فهي معية ماذا؟ معية العلم والاطلاع، ولهذا ختم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كلامه عن هذا المثال قال: (**فحيثُ وقعتْ**)؛ أي: المعية، (**في سياقِ المدح والثناء فهي مِنْ هذا النوع**)؛ ما معنى من هذا النوع؟ أي:

من المعية الخاصة التي تقتضي المحبة والتوفيق والكلاءة والإعانة، **(وحيثُ وقعتْ في سياقِ التحذير والترغيب والترهيب فهي مِنَ النوعِ الأول)**؛ أي: المعية العامة.

القارئ:

ومِنْ ذلك: النهي في كثيرٍ مِنَ الآيات عنْ موالاة الكافرين، وعنْ مودَّتهم والاتّصال بِهم، وفي بعضها الأمرُ بالإحسانِ إلى مَنْ لهُ حقٌّ على الإنسان منهم، ومُصاحبتهُ بالمعروف كالوالدين ونحوهم.

فهذه الآياتُ العامَّة مِنَ الطرفين، قدْ وضَّحها الله غاية التوضيحِ في قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:٨-٩]، فالنَّهي واقعٌ على التولّي والمحبّة لأجلِ الدين، والأمرُ بالإحسانِ والبرِ واقعٌ على الإحسانِ لأجلِ القرابة، أو لأجلِ الإنسانية على وجهٍ لا يُخِلُّ بدينِ الإنسان.

الشيخ:

ثم ذكر هذا المثال وهو يتعلق بالولاء والبراء، وموالاة الكفار، وتولي الكفار، يقول الشيخ: **(مِنْ ذلك: النهي في كثيرٍ مِنَ الآيات عنْ موالاة الكافرين، وعنْ مودَّتهم والاتّصال بِهم، وفي بعضها)**؛ جاء في بعض الآيات، **(الأمرُ بالإحسانِ إلى مَنْ لهُ حقٌّ على الإنسان منهم، ومُصاحبتهُ بالمعروف)**؛ مثل قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان، من الآية:١٥]، أمر جَلَّ وَعَلَا بأن يصاحب الابن أبويه المشركين في الدنيا بالمعروف، يخدمهم، يُحضر لهما أغراضهم، يأتي لهم بحاجاتهم، لكن لا يطيعهم في كفرٍ وشركٍ ومعصيةٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف يُجمع بين الآيات التي فيها النهي عن المولاة، والآيات التي فيها المصاحبة بالمعروف؟

قال الشيخ: جاء الجمع بين هذه الآيات في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الممتحنة، قال: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:٨-٩]، وفي آيةٍ أخرى قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥١]، إذا تولاهم لدينهم حبًا لدينهم، ورضًا باعتقادهم، وحبًا لنصرتهم على المؤمنين، وانتصار دين الكافرين على دين الإسلام، هذا كفرٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن مصاحبة الأبوين، أو القرابة

من المشركين، أو الجيران من المشركين بالمعروف، ومعاملتهم بالحسنى تأليفًا لقلوبهم لعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يهديهم، هذا أمرٌ ليس في شرعنا نهيٌ عنه، بل جاء القرآن مصرحًا بذلك، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:٨]، أمر ببرهم، والإقساط إليهم، والإحسان إليهم، وأخبر أنه يحب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المقسطين، فدل ذلك على جواز ذلك وإباحته.

القارئ:

فالنَّهي واقعٌ ...

الشيخ:

نعم؟

القارئ:

يقول الشيخ: فالنَّهي واقعٌ على التولي...

الشيخ:

(**فالنهي واقعٌ على التولي والمحبّة لأجلِ الدين**)؛ واقعٌ يعني: النهي عن الموالاة واقعٌ على التولي، (**فالنهي واقعٌ على التولي والمحبّة لأجلِ الدين**)؛ أي: أن يتولى كافرًا ويوالي كافرًا لأجل دينه، ويحبه لأجل دينه، أما أن يواليه لأجل قرابته، أو يواليه لأجل معروفٍ أسداه إليه فقام بالإحسان إليه، وقام بمساعدته، قام بخدمته، فهذا لا بأس به، لا يُنهى عن ذلك.

أما أن يتولاه لأجل دينه، ويحبه لأجل دينه هذا كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو الذي يُحمل عليه قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية: ٥١].

القارئ:

ومِنْ ذلكَ: أنّهُ أخبرَ في بعضِ الآيات أنَّ الله خلقَ الأرضَ، ثمَّ استوى إلى السماءِ فسوَّاهُنَّ سبعَ سماوات، وفي بعضها أنّهُ لمّا أخبرَ عن خلقِ السماواتِ أخبرَ أنَّ الأرضَ بعدَ ذلك دحاها، فهذه الآية تُفسرُ المراد، وأنَّ خلْقَ الأرض مُتقدِّمٌ على خلْقِ السماوات، ثمَّ لمّا خلقَ الله السماوات بعدَ ذلك دَحَا الأرض، فأودعَ فيها جميع مصالحها المُحتاجِ إليها.

الشيخ:

في المسألة الأولى أيضًا للتوضيح حتى نُفرق بين التولي والموالاة، وأيضًا الأمر الثالث الإحسان إلى من أمرنا بالإحسان إليه من هؤلاء فهذه ثلاثة أمور:

الأول: كفر.

والثاني: معصية.

والثالث: مباح.

ولا يُخلط بينها، التولي هذا كفر، أن يتولى الكفار لأجل دينهم حبًا في دينهم ورغبةً في انتصارهم على المسلمين ونحو ذلك، هذا كفرٌ.

النوع الثاني: الذي هو الموالاة، لو أنه عاون المشركين، أو سرب إليهم بعض أخبار المسلمين مما قد يكون سببًا لنصرهم لا لأجل دينهم، وإنما لسببٍ آخر مثل أن يكون له أولاد هناك، فيقول: أنا أسرب لهم بعض الأخبار حتى لا يعتدوا مثلًا على أولادي، فهنا ليس تولي، هو لم يتولهم لأجل دينهم فلا يكون كافرًا، لكن العمل الذي فعله معصية وذنبٌ وجرمٌ، هذا جانب.

الجانب الثالث: الإحسان إلى الكافر تأليفًا لقلبه وتوددًا إليه رغبةً في هدايته هذا أمرٌ مباح، أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان، من الآية:١٥]، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة الممتحنة، من الآية:٨]، فيُفرق بين هذه الأمور الثلاثة.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومِنْ ذلكَ: أنّهُ أخبرَ في بعضِ الآيات أنَّ الله خلقَ الأرضَ، ثمَّ استوى إلى السماءِ فسوَّاهُنَّ سبعَ سماوات، وفي بعضها أنّهُ لمّا أخبرَ عن خلقِ السماواتِ أخبرَ أنَّ الأرضَ بعدَ ذلك دحاها، فهذه الآية تُفسرُ المراد**)؛ يعني قوله في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٩].

يقول الشيخ: (**جاء في بعضِ الآيات أنَّ الله خلقَ الأرضَ، ثمَّ استوى إلى السماءِ فسوَّاهُنَّ سبعَ سماوات**)؛ هذا يفيد أن خلق الأرض قبل ماذا؟ قبل خلق السماوات، وجاء في آية، إن الله قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة النازعات، من الآية:٣٠]، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [سورة النازعات، من الآية:٢٧-٣٠]، فكيف يُجمع بين الآية التي فيها أن خلق الأرض قبل خلق السماوات، وبين هذه الآية التي فيها أن دحو الأرض جاء بعد خلق السماوات؟

يقول الشيخ: (**وفي بعضها أنّهُ لمّا أخبرَ عن خلقِ السماواتِ أخبرَ أنَّ الأرضَ بعدَ ذلك دحاها، قال: فهذه الآية تُفسرُ المراد، وأنَّ خلْقَ الأرض مُتقدِّمٌ على خلْقِ السماوات، ثمَّ لمّا خلقَ الله السماوات بعدَ ذلك دَحَا الأرض**)؛ فإذًا خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الأرض أولًا في يومين، ثم خلق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ السماوات في يومين، ثم بعد ذلك دحا الأرض بالجبال وغير ذلك مما دحاها به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في يومين، فخلق الأرض قبل خلق السماوات، ودحو الأرض بعد خلق السماوات، فلا تعارض حينئذٍ بين الآيات.

القارئ:

ومِنْ ذلك: تارةً يُخبرُ أنّهُ بكلِّ شيءٍ عليم، وتارةً يُخبرُ بتعلّقِ عِلمهِ ببعضِ أعمالِ العباد وببعضِ أحوالهم، وهذا الأخيرُ فيهِ زيادةُ معنى، وهو أنّهُ يدلُّ على المجازاة على ذلكَ العمل، سواءٌ كان خيرًا أو شرًا، فيتضمّن مع إحاطة علمهِ الترغيب والترهيب.

الشيخ:

اضرب مثالًا أوضح به كلام الشيخ، قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٢٢٠]، لو قال قائل: الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بكل شيء عليم، علمه محيطٌ بكل شيء، وسع كل شيء علمًا، فما معنى تخصيص المصلح والمفسد بأن الله يعلم المصلح والمفسد مع أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليمٌ بكل شيء؟ هذا الآن هو المثال.

يقول: (**تارةً يُخبرُ أنّهُ بكلِّ شيءٍ عليم، وتارةً يُخبرُ بتعلّقِ عِلمهِ ببعضِ أعمالِ العباد ببعضِ أحوالهم**)؛ فهل هذا يعارض ذاك؟ يعني عندما تأتي آيات فيها تعلق علم الله ببعض الأعمال المعينة، يذكر أنه يعلم المصلح من المفسد مع أنه بكل شيءٍ عليم.

يقول: (**وهذا الأخيرُ فيهِ زيادةُ معنى**)؛ يعني هو لما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٢٢٠]، ليس المراد هنا فقط الإخبار عن العلم؛ لأن الإخبار عن العلم جاءت به الآيات العامة، لكن فيه زيادة معنى، ما هي الزيادة؟

قال: (**وهو أنّهُ يدلُّ على المجازاة على ذلكَ العمل**)؛ إذًا لما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾، كأنه قال: لينتبه المفسد فإن الله عليمٌ به سيحاسبه على فساده، والمصلح الله عليمٌ به وسيثيبه على صلاحه، فإذًا هنا فيه زيادة معنى زائد على المعنى الكلي المستفاد من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة، من الآية: ٧].

قال: (**سواءٌ كان خيرًا أو شرًا**)؛ إن كان خيرًا فزيادة المعنى التنبيه على الثواب، وإن كان شرًا فزيادة المعنى هي التنبيه على العقاب، (**فيتضمّن مع إحاطة علمهِ الترغيب والترهيب**).

القارئ:

ومِنْ ذلك: الأمرُ بالجهاد في آياتٍ كثيرة، وفي بعضِ الآيات الأمرُ بكفِّ الأيدي، والإخلادِ إلى السكون، فهذه حينَ كان المسلمون ليسَ لهم قوّةٌ، ولا قدرةٌ على الجهادِ باليد، والآياتُ الأخرى حينَ قووا وصارَ ذلكَ عينُ المصلحة؛ وهو الطريقُ إلى قمعِ الأعداء.

الشيخ:

تجد في القرآن آيات تحث على الجهاد، وآيات تأمر بالكف عنه، هل بينها تعارض؟ الجواب: لا؛ لأن الآيات التي فيها الحث على الجهاد محمولةٌ على أحوال ومقام وأوقات، والآيات التي فيها الكف أيضًا محمولة على أحوال ومقامات وأزمان، إذا كان عند المسلمين قوة وطاقة وقدرة يؤمرون، وإذا كان أمرٌ فيه ضعف وليس عندهم قدرة ولا قوة ما يؤمرون، كيف يؤمر شخصٌ أعزل، أو شخصٌ لا قوة له، ولا قدرة له على الجهاد، يقال له: اذهب وجاهد؟ فإذًا الآيات التي فيها الحث على الجهاد تُحمل على أحوال ومقامات، وأيضًا الآيات التي فيها الكف عنه تُحمل على أحوال، ومقامات، أو أوقات.

القارئ:

ومِنْ ذلك: أنّهُ تارةً يضيفُ الأشياءَ إلى أسبابها التي وقعتْ وتقعُ بِها، وتارةً يُضيفها إلى عُمومِ قُدْره، وأنَّ جميعَ الأشياءِ واقعةٌ بإرادتهِ ومشيئتهِ، فَيُفيدُ مجموعَ الأمرين إثباتُ التوحيد، وتفرّد الباري بوقوعِ الأشياءِ بقُدْرتهِ ومشيئتهِ، وإثباتُ الأسبابِ والمسبَّات، والأمرَ بالمحبوب منها، والنهي عن المكروه، وإباحةَ مستوي الطرفين، فيستفيدُ المؤمنَ الِجدَّ والاجتهاد في عملِ الأسباب النافعة، والنظر وملاحظة فضل الله في كل أحواله، وألا يتّكلُ على نفسهِ في أمرٍ مِنَ الأمورِ بلْ يتّكلُ ويستعينُ بربّهِ.

الشيخ:

ثم ذكر هذا المثال أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تارةً يضيف الأشياء إلى أسبابها التي وقعت وتقع بها، يعني في آيات كثيرة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية: ٣٠]، يعني: جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الماء سببًا للحياة، وآياتٌ أخرى ربط الأشياء كلها بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من حياةٍ وموتٍ وصحةٍ وإلى آخره، ربط ذلك بقدرته ومشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾، هذا سبب لكن الحياة والموت بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما هي

فائدة الآيات التي نصت أو ربطت الأمور بالأسباب؟ وهل هي معارضة للآيات التي فيها ربط الأمور كلها بمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقدرته؟

يوضح الشيخ يقول: (**أنَّ جميعَ الأشياءِ واقعةٌ بإرادتهِ ومشيئتهِ، فَيُفيدُ مجموعَ الأمرين إثباتُ التوحيد، وتفرّد الباري بوقوعِ الأشياءِ بقُدْرتهِ ومشيئتهِ، وإثباتُ الأسبابِ والمسبَّات والأمرَ بالمحبوب منها، والنهي عن المكروه، وإباحةَ مستوي الطرفين**)؛ فهذا يستفيد منه المؤمن أن يباشر الأسباب لا يعطلها، ويستفيد من الآيات التي فيها أن الأمور بقدرته ألا يعتمد على الأسباب، بل يعتمد على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، عندنا آيات تُثبت الأسباب، وعندنا آيات تُثبت أن الأمور كلها بقدرة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن مجموع هذه الآيات يظهر لك ويبرز لك حقيقة التوحيد والتوكل على الله؛ لأن حقيقة التوكل على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو اعتماد القلب على الله وحده دون سواه مع مباشرة الأسباب دون تعطيلها؛ لأن القرآن جاء بذكر الأسباب فلا تُعطل، وجاء بذكر أن الأمور كلها بمشيئة الله فلا يُعطل أيضًا التوكل على الله، ولهذا فإن حقيقة التوكل على الله هو اعتماد القلب عليه، وتفويض الأمور كلها إليه مع مباشرةٍ للأسباب.

القارئ:

وقدْ يُخبر أنَّ ما أصابَ العبدَ مِنْ حسنةٍ فمن الله، وما أصابهُ مِنْ سيئةٍ فَمِنْ نفسهِ، ليُعرّفَ عبادهُ أنَّ الخيرَ والحسنات والمحاب تقعُ بمحضِ فضلهِ وجودهِ، وإنْ جرتْ ببعضِ الأسباب الواقعةِ مِنَ العباد، فإنَّ الأسبابَ هو الذي أنعمَ بها وهو الذي يسَّرَها، وأنَّ السيئات وهي المصائبُ التي تُصيبُ العبدَ أسبابها مِنْ نفسِ العبدِ، وبتقصيرهِ في حقوقِ ربّه، وتعدِّيهِ لحدودهِ، فالله وإنْ كان هو المُقدِّرُ لها فإنّهُ أجراها على العبدِ بما كسبتْ يداهُ، ولهذا أمثلةٌ يطولُ عَدُّهَا.

الشيخ: وهذا أيضًا ملتحق بما سبق، يعني هناك آيات قررت أن الأمور كلها بمشيئة الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور كلها بقدرته، ثم يقول: (**هناك آيات يُخبر أنَّ ما أصابَ العبدَ مِنْ حسنةٍ فمن الله، وما أصابهُ مِنْ سيئةٍ فَمِنْ نفسهِ**)؛ فكيف نجمع بين قوله: (**وما أصابهُ مِنْ سيئةٍ فَمِنْ نفسهِ**)؛ والآيات التي فيها أن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟

يقول: (**ليُعرّفَ عبادهُ أنَّ الخيرَ والحسنات والمحاب تقعُ بمحضِ فضلهِ وجودهِ، وإنْ جرتْ ببعضِ الأسباب الواقعةِ مِنَ العباد فإنَّ الأسبابَ هو الذي أنعمَ بها وهو الذي يسَّرَها، وأنَّ السيئات وهي المصائبُ التي تُصيبُ العبدَ أسبابها مِنْ نفسِ العبدِ، وبتقصيرهِ في حقوقِ ربّه، وتعدِّيهِ لحدودهِ، فالله وإنْ كان هو المُقدِّرُ لها، فإنّهُ**

أجراها على العبدِ بما كسبتْ يداهُ)؛ كما يوضح ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [سورة الصف، من الآية: ٥].

قال: **(ولهذا أمثلةٌ يطولُ عَدُّهَا)**؛ وفي هذا الموضوع الحافل النافع المفيد كتب الإمام العلامة الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا نافعًا في هذا الباب، جاء به مرتبًا على سور القرآن وآيات القرآن سماه: (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)، وجمع فيه على ترتيب المصحف الآيات التي ظاهرها الاضطراب أو التعارض وجمع بينها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، والشيخ هنا ذكر لنا خلاصةً مفيدة تُبين القاعدة وتوضحها ببعض الأمثلة، وإلا الأمثلة على ذلك كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اللهم انفعنا بما علمنا، واجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا، واهدنا إليك صراطًا مستقيمًا، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.